إحدى لوحات حسين يوسف

فى ليلة أنعشتها موسيقى عمر خيرت

جماعة الفن المعاصر تلتقى من جديد

زيارة ـ هشام أصلان:

قال الكاتب الكبير علاء الديب «تعلمت من الموسيقى الكلاسيك خاصة من باخ، أن أروع ما فى العمل الموسيقى هو الثوانى التى تنتهى فيها الجملة الموسيقية أو اللحن، وتبدأ فيها جملة جديدة، أو لحن جديد، فى هذه الثوانى يتركز كل تركيب العمل، يضع فيها المؤلف أسرار الكمال الفنى القائم فى ذهنه دون إفصاح أو مباشرة».

لا أعرف لماذا تذكرت هذه العبارة أثناء التجول بين لوحات المعرض المقام حاليا فى قاعة «المسار» للفن المعاصر بالزمالك، والذى افتتحه الفنان فاروق حسنى الأسبوع الماضى.. ربما لأن علاء الديب كتب هذه العبارة فى سياق تقييمه لتجربة أدباء جيل الستينيات، والذى سبق ازدهارهم بسنوات قليلة نقلة كبيرة فى حركة الفن التشكيلى على يد هؤلاء الفنانين الذين يضم المعرض أعمالهم. أو ربما يرجع السبب للأجواء الموسيقية فى تلك الليلة.

بدأت القصة عندما عاد الفنان حسين يوسف أمين (١٩٨٤:١٩٠٤) إلى مصر فى الثلاثينيات، متأثرا بتقدم الفن التشكيلى الأوروبى، مهموما بحال الفن المصرى وانسياقه وراء الحركات الغربية، فبينما كان هناك تيارٌ وطنى لدى رواد الجيل الأول فى العشرينيات: محمود مختار، محمد ناجى، محمود سعيد، حبيب جورجى، يوسف كمال، وراغب عياد، أنجز أصحابه أعمالا تعبر عن النضال الوطنى، واستبعاد كل ما هو أجنبى، شهدت الثلاثينيات توجها عكسيا لهذه الحالة بسبب تأثر بعض الفنانين المصريين بنظرائهم

شديد، بعد استطاعته تجميع أعمالهم مرة أخرى فى معرض واحد.

تدخل إلى القاعة، بعد يوم عمل ملىء بالشد والجذب، تستقبلك فتاتان جميلتان، ساهم الخط الرفيع للقلم الرصاص فى بساطة رسمهما، وانسيابية تلقيك لهما، تبدأ أوتارك فى الرجوع لطبيعتها، ويذهب عنها التوتر، يتأهل عقلك لاستقبال باقى اللوحات، خاصة عندما تتسلل إلى أذنك ألحان العبقرى عمر خيرت.

طرقة قصيرة جدا، قبل الدخول إلى صالة العرض الرئيسية، لتشعر وكأنك انتقلت إلى عالم مختلف بحق، لوحات لا يلفتك عنها غير بطاقة التعريف الصغيرة بجوارها، لمعرفة الفنان الذى رسمها.

رغم أن الأعمال ليست كلها لنفس الفنان، إلا أن هناك أكثر من رابط بينها، ناهيك بالطبع عن أنهم جميعا أبناء أفكار واحدة.

هذا رجل يرتدى الزى الفلاحى ويمسك بين يديه طبلة بينما تقف بجواره الراقصة، رسمهما حسين يوسف دون حركة، الاثنان فى حالة تأمل، وكأن الرجل كف عن الدق على طبلته تحية لمرتادى المعرض، أم تراهما توقفا احتراما لموسيقى عمر خيرت المنبعثة من الغرفة المجاورة، والتى يبدو أنها لم تؤثر فى شخوص حامد ندا على الحائط المقابل، فراحت أصابع العازف تلعب على البيانو، واستغرقت فتاته فى الرقص دون اكتراث بأجواء الليلة، مما شجع هاتين الفتاتين فى لوحة ماهر رائف على ممارسة عزفهما، ولكن على استحياء، فتلفحت كل منهما بطرحتها، وبدأتا فى العزف على الربابة والدف، بينما